

مركز حرمون للدراسات المعاصرة

مركز حرمون للدراسات المعاصرة هو مؤسسة بحثية وثقافية وإعلامية مستقلة، لا تستهدف الربح، تعنى بشكل رئيس بإنتاج الدراسات والبحوث المتعلقة بالمنطقة العربية، خصوصا الواقع السوري، وتهتم بالتنمية الثقافية والتطوير الإعلامي وتعزيز أداء المجتمع المدني، ونشر الوعي الديمقراطي وتعميم قيم الحوار واحترام حقوق الإنسان، إلى جانب تقديم الاستشارات والتدريب في الميادين السياسية والإعلامية للجهات التي تحتاج إليها في المجتمع السوري انطلاقا من الهوية الوطنية السورية.

يعمل مركز حرمون للدراسات المعاصرة لتحقيق أهدافه من خلال مجموعة من الوحدات التخصصية (وحدة دراسة السياسات، وحدة البحوث الاجتماعية، وحدة مراجعات الكتب، وحدة الترجمة والتعريب، وحدة المقاربات القانونية) وعدد من برامج العمل (برنامج الاستشارات والمبادرات السياسية، برنامج الخدمات والحملات الإعلامية وصناعة الرأي العام، برنامج دعم الحوار والتنمية الثقافية والمدنية، برنامج مستقبل سورية)، ويمكن للمركز أن يضيف برامج جديدة بحسب حاجة المنطقة والواقع السوري، ويعتمد المركز آليات متعددة في إنجاز برامج، كالمحاضرات وورشات العمل والندوات والمؤتمرات والدورات التدريبية والنشر الورقي والإلكتروني.

الدوحة، قطر

+974 44 885 996

إسطنبول، تركيا

+90 212 524 0404

harmoon.org

Coercive Control in Conflict: Implications for Syria	اسم المادة الأصلي
Joanne Hopkins جوان هوبكينز •	الكاتب
جامعة سانت اندرو مركز الدراسات السورية -css.wp.st- /andrews.ac.uk	مكان النشر وتاريخه
https://ojs.st- /andrews.ac.uk/index.php/syria/article/download/.../1269	رابط المادة
وحدة الترجمة والتعريب في مركز حرمون- آرام الحكيم	ترجمة

*جوان هوبكينز، طالبة دكتوراه بدوام جزئي في جامعة أبيرستويث في قسم السياسات الدولية. تركز أبحاثها على الخوف من العنف الجنسي في الصراع وتأثيره في اللاجئين السوريين. وهي موظفة مدنية أساسية بدوام كامل في حكومة المملكة المتحدة ولديها خبرة واسعة في سياسات الهجرة وإجراءاتها. كتبت هذا البحث بقدراتها الأكاديمية الذاتية. الآراء المعبر عنها هنا هي آراؤها ولا ينبغي تفسيرها على أنها تعكس آراء حكومة المملكة أو أي منظمة يمكن أن ترتبط بها بوصفها موظفة في الخدمة المدنية.

المحتويات

6 ما السيطرة القهرية بالضبط؟
9 السيطرة القهرية وجرائم الاستيلاء
11 ما الذي يحدده القانون الدولي؟
14 السيطرة القهرية في الصراع السوري
16 استنتاجات
17 المراجع

أكون مراقبة بإحكام، إيماءة واحدة تجعلني أغلق حسابي الفيسبوكي، بعد أقل من خمس عشرة دقيقة على وضع المنشور تلقيت مكالمة هاتفية منه، تجعلني هذه الأفكار كلها على نحو مطرد، مخلوقاً أكثر هلعاً. أنا أتحاشى أصدقائي، لذا لن يكونوا على تماس مع قلقي الشديد¹.

هذا الاقتباس لسمر يزيك، يصف تجربتها في الحياة والعمل بصفتها صحافية في سورية عام 2011. والفاعل الذي يمارس هذا الشكل من السيطرة القهرية ليس الشريك الحميم، لكنها إحدى قوى الدولة. يمكن لهذا الاقتباس أن ينسب ببساطة إلى الأوصاف التي قدمها الناجون من التعسف المنزلي في علاقاتهم، حيث يمارس الشركاء المتعسفون السلطة والسيطرة على الآخر، ويملون عليهم الكيفية التي يعيشون بها حياتهم، ويضمنون تبعيتهم عبر الخوف. يكون التعسف في كثير من الحالات نفسياً، وكثيرون منهم لا يعدّون أنفسهم ضحايا. فهم يعدّونه سلوكاً طبيعياً أو أنهم لا يعترفون به. يتشابك العنف الذي يتعرضون له مع العنف الجسدي: العزلة وانحلال القوى وتكتيكات التخويف والترويع، الإشراف العام، التحذيرات والتعنيفات المتعارضة مع "كتاب القواعد" المتغير دائماً الذي لا يمكن التنبؤ به². توافق توصيفات يزيك سيناريو شخص ما في علاقة سيطرة مع شريك حميمي تعسفي، حيث يأخذ التعسف شكل التمرن النفسي، المعروف ضمن سلسلة العنف في التعسف المنزلي. في الحقيقة إنه يتعلق بالحياة في سورية.

يستكشف هذا البحث كيف أن مفهوم السيطرة القهرية الذي أقرّ بوصفه اعتداءً جرمياً في تشريع المملكة المتحدة منذ عام 2015 وحالياً يستخدم حصراً لوصف شكل التعسف في علاقة الشريك الحميم، يمكن بسطه كي يساعدنا على فهم السلسلة المتصلة من العنف التي عاناها الرجال والنساء في الصراع السوري. استخدام الدولة للعنف الجسدي في الصراع موثق جيداً، وكذلك استخدامها الممنهج للتعذيب، والحبس والاعتصاب.

في كل حال، من أجل فهم سورية بعد 2015، يوجد حاجة أيضاً إلى فهم الطريقة التي استخدمتها السلطة والفاعلون الآخرون استراتيجية في خلق مناخ الخوف جنباً إلى جنب مع ممارسات العنف الجسدية. لقد شكل الخوف جزءاً من آليات النظام الاستبدادي في الحكم عقوداً وعززه القمع الشديد لأي معارضة، ولكن النظام استخدمه استراتيجية حرب منذ انفجار الصراع السوري. يحاول هذا البحث أن يبرهن أن العام يمكن أن يتعلم من الخاص في هذا المجال المحدد.

طور إيفان ستارك مصطلح "السيطرة القهرية" في عمله، السيطرة القهرية: كيف يوقع الرجال النساء في حبائلهم الذي طبع أول مرة في 2007. وأصبح في كانون الأول/ديسمبر 2015 اعتداءً جرمياً في القانون البريطاني. السيطرة القهرية حالياً، أولاً وقبل كل شيء، جريمة "منزلية" في التشريعات "المحلية". ولكن بينما طور ستارك هذا المفهوم ليصف الآليات في علاقات الشريك الحميمية مع شكوكه حول فائدته الأوسع، وهو يتحدث في عمله الخاص عن المفهوم كونه "فخاً" وسلباً للحرية. يقارن أيضاً معاناة السيطرة القهرية "جرائم الأسر" أو الاختطاف رهينة ويرسم مقارنة بمعاناة أسرى الحرب، سواء في ما يتعلق بالسلوك نفسه

¹ سمر، يزيك، امرأة في تقاطع النيران- يوميات من الانتفاضة السورية، (لندن: دار هاوس للنشر، 2011) ص183

² <https://www.cedarnetwork.org.uk/about/supporting-recovery/what-is-domestic-abuse/what-is-coercive-control/>

والأثر الذي يتركه في الضحية. لذا هناك مؤشرات حول تعاضد السلوكات بين "المنزلي" في حالات عدم الصراع والجهات الفاعلة في الحرب وإمكان توسيع مجال المفهوم كما جسده مبتكره الذي ابتدعه، خارج عنف الشريك الحميم. أريد أن أستكشف الطرائق التي يمكن من خلالها تطبيق ذلك على معاناة الناس في الصراع السوري الراهن وكيف يمكن استعمال المفهوم لمساعدة الأكاديميين وصانعي السياسة على تحسين فهمنا لأثر الصراع في الناس المهجرين حالياً أو الذين أعيد توطينهم، وأيضاً على أولئك الناس الذين يسعون للعودة إلى سورية في المستقبل كي يعيدوا بناء البلد.

في البداية سأنتقل من تحديد موقعي الخاص، وأقدم هذا البحث في إطار التمحيص المستمر. يتبع هذا مناقشة لمفهوم ستارك عن السيطرة القهرية والإجراء الذي أصبح بوساطته اعتداءً جرمياً في المملكة المتحدة. إن عقلانية استخدام هذا المفهوم في ضبط العلاقات الدولية مؤكدة، خصوصاً بوصفه طريقة لتحسين فهمنا لمعاناة الحرب. ثم تنتقل المناقشة لاستنطاق ما يقوله القانون الدولي بخصوص "السلوك المسيطر" وأنواع العنف النفسي التي يصفها ستارك والصعوبات في تفسيرها وتطبيقها. أخيراً، أطبق هذا الإطار المفاهيمي على الصراع السوري كي أوضح كيف يمكن توسيع التعريف، قبل أن نعود إلى البيئة المحلية كي نربط بين الاثنين عبر حركة "استردى الليل".*

اهتمامي الأساسي هو أن أستكشف أثر "الخوف" من العنف الجنسي في النزاع السوري. وأنا هنا أشارك ستارك وجهة نظره، بأننا لا نبحث عبر تركيزنا على أشكال أخرى من العنف، عن تقليل أهمية أو إنكار جريمة العنف الجسدي. أنا أقصد بدلاً من ذلك، أن أركز على أن تكون قضية الخوف من العنف بوصفه سلاحاً نفسياً خاصاً ينشره الوكلاء إلى جانب مجموعة من التكتيكات الجسدية الأخرى، في المجالين المحلي والدولي للصراع. يكون الخوف الناشئ عن سلسلة العنف المتواصلة شديداً جداً درجة يمنع فيها الأشخاص من الإفلات من علاقاتهم مع قاهرهم لذلك يقعون في الفخ. ما يجعل السلوك الذي عانوه جريمة سلب أو جريمة حرية. السؤال الذي طرح على عدد من الناجين من سوء المعاملة المنزلية ومن طالبي اللجوء، "لماذا لم تغادر؟" اللحظة التي يستطيع فيها الأشخاص أن يهربوا من هذا العنف، أو تفسير عدم قدرتهم، يمكن فهمها كلياً عبر الاستحواذ النفسي الذي علقوا به، وتوحيجاً لسنوات من السلوك المسيطر الذي صار طبيعياً عندهم من دون أن يدركوا ذلك. اللحظة التي يصبح فيها هذا العنف غير محتمل هي تلك اللحظة التي يختار فيها الناجي المغادرة؛ وغالباً ما يشترط الوصول إلى نقطة التحول حدوث الأذى ضد الأطفال أو أطراف أخرى. فقد عدت بشكل واسع الجريمة ضد الأطفال الذين كتبوا الشعارات ضد بشار على جدر مدينة درعا في آذار/ مارس 2011، لأنها أدت دوراً محفزاً مشابهاً للاحتجاجات في سورية.

أهمية فهم هذا العامل الجذري من العنف المستمر، يدور حول التأثير في الحرية والاستقلالية. إن تولد الخوف من حدوث العنف الجسدي سيكون له الأثر نفسه في الضحية كما لو أنه قد حصل فعلاً. أثر هذا الخوف في السلوك الإنساني، وحركته، وقراره في أن يفر أو يواجه، مهم في فهم ما حدث للناس في سورية.

*نظّم عدد من المسيرات الليلية من الحركات النسوية ومناصريها في أوروبا وأميركا ضد الاغتصاب والتحرش والعنف الذي تتعرض له النساء ليلاً بعناوين مشابهة، بمعنى أن تكون المرأة قادرة على الخروج من بيئتها ليلاً وهي آمنة.

درست عالمة الاجتماع ليز كيللي أثر العنف الجنسي في الناجين واستنتجت أن مستوى الخوف لدى الضحية ينشأ بقدر كبير من إدراكها لما يمكن أن يحدث بناء على تجربة سابقة تمامًا مثل التهديد المباشر للمرتكب³. يحدد ستارك بصورة مشابهة في السيطرة القهرية، أن فكرة الأذى الجسدي المزروعة في عقل الضحية يمكن أن تترك أثرًا مدمرًا أكثر من العنف الفعلي⁴.

يساعد ذلك على شرح ما يريد الناس أن يحدث قبل إعادة بناء سورية وبناء السلام. تصف ميريام كوك في كتابها الرقص في دمشق 2017 مفكرًا سوريًا رائدًا:

مثل السوريين الذين قابلتهم كلهم، هو ملتزم بتخيل نظام سياسي جديد يمنح كل فرد الحرية، والكرامة والفهم الواضح لما يعنيه أن تكون مواطنًا حقيقيًا⁵.

مقارنة هذا بما تقوله ناجية من التعسف المنزلي عندما سئلت عما تريده من مستقبلها: "مستقبل خال من الخوف لئلا أتلفت خلفي طوال الوقت وأن أكون مستقلة ماليًا وعقليًا لكن أكثر من كل هذا هو التوقف عن الشعور بالخجل من ماهيتي"⁶. في فهم ما هو المطلوب لدعم هذا الطموح، هناك مجال لوضع البنى والاستراتيجيات في المكان الملائم الذي يسمح بتحقيق ذلك. ما الذي يمكن أن نتعلمه من المعاناة المنزلية ليساعدنا على عمل ذلك في سورية المستقبلية؟

الهدف هنا هو أن نبين كيف تُستخدم السيطرة القهرية لتحقيق نتائج العنف الجسدي نفسها في الصراع: العنف الطائفي، والتهجير لأناس محددين واستعادة الاستبداد في مواجهة الثورة. ونظهر بناء عليه كيف يتشابه العنف النفسي في الصراع مع السيطرة القهرية في أنها جزء من ترسانة الأسلحة الموضوعية تحت تصرف الجاني، سواء أكان زوجًا أم خليلاً أم وكيلاً للدولة أم لغير الدولة، فالنتيجة هي نفسها. فهم يحققون الهيمنة والسيطرة. وتفعل الضحية ما يعتزمه القاهر.

متابعاتي الأكاديمية هي فقط جزء من موقفي. إضافة إلى كوني طالبة دكتوراه، فأنا موظفة مدنية رفيعة المستوى في وزارة الداخلية في المملكة المتحدة ولدي خبرة عمل 17 سنة في الهجرة، والجريمة وتنظيم المجتمع. في ما يتعلق بهذا العمل، فقد كنت مسؤولة عن استراتيجية حكومة المملكة المتحدة لإنهاء العنف ضد النساء والفتيات عام 2010 ودعمت حاليًا العمل على توطين العائلات السورية في المملكة المتحدة إضافة إلى أسبقية واسعة حول دعم اللجوء والاندماج. وأنا الآن مديرة مركز معاناة الطفولة المحرومة في ويلز للنظر في كيفية دعم المنظمات لفهم أثر الصدمة في الطفولة وزيادة الإدراك لمنع حدوثها.

سيدعم الفهم الأفضل لأشكال المعاناة المختلفة للعنف في الحرب تطور البحث الأكاديمي ويقدم بعض الاعتراضات على الأدب الموجود في الكيفية التي يجد فيها العنف النفسي وتحريض الاستجابة العاطفية مكانًا لهما في العلاقات الدولية (IR). سيساهم هذا العمل في تطوير جدول جديد متنامٍ من الأبحاث في العلاقات الدولية المناصرة لحقوق المرأة الذي يأخذ بالحسبان العاطفة والحرب. من خلال تضمين أصوات

³ ليز. كيللي، النجاة من العنف الجنسي، (أوكسفورد: مطبعة الحكومة، 1998)، ص 98

⁴ إيفان. ستارك، السيطرة القهرية: كيف يوقع الرجال النساء في حبائلهم، (نيويورك: مطبعة جامعة أوكسفورد، 2007)، ص 251.

⁵ م. كوك، الرقص في دمشق المبدعة، المرونة، والثورة السورية، (أوكسون: روتليدج، 2017)، ص 2.

⁶ الناجية د. أ من مجموعة التركيز في 17 حزيران/ يونيو 2018.

فنانين وكتاب وشعراء، أمل أن توضح أهمية أعمالهم في مساعدتنا لفهم المشاعر الشبيهة بمعاناة الصراع، وأن نصر على أن نفاذ البصيرة في الأدب، مثلاً، يمكن أن يكون مصدرًا لفحص نظريات العلاقات الدولية. أمل أيضًا أن يدعم بحثي هؤلاء الذين يعملون معنا في سياسات حكومة المملكة المتحدة ليشجعوا بصورة أفضل اندماج اللاجئين من مناطق الصراع، كما في حالة سورية. كما أنه سيساعدنا على ضمان توفير الخدمات المحلية الملائمة لهؤلاء الذين يريدونها أو يحتاجون إليها، وكذلك لدعم هؤلاء الذين نسعى لمساعدتهم كي يكونوا جزءًا من مجتمعنا أيضًا بناءً على فهمنا المحسن لكيفية تأثير السيطرة القهرية في الناس في المحيط المحلي. يمكن أن يساعدنا رسم أوجه التشابه في ما يعانیه الضحايا والناجين، على أن نفعل ذلك.

ما السيطرة القهرية بالضبط؟

استنادًا إلى ستارك، يمكن تحديدها بالآتي:

نموذج مستمر للسيطرة يمزج عبره الشريك التعسفي الذكر بشكل أساسي العنف الجنسي والجسدي المتكررين مع الترهيب والتقليل من القدرات الجنسية والعزل والسيطرة. النتيجة الأساسية للسيطرة القهرية هي حالة من الاستلاب التي تشبه حالة الرهينة في الأذيات التي تصيب الكرامة والحرية والاستقلالية والشخصية إضافة إلى السلامة النفسية والجسدية.⁷

مظهر مهم للسيطرة القهرية هو طبيعتها الجندرية. يوضح ستارك أن السيطرة القهرية ذكورية لأنها: تستخدم لضمان امتياز الذكر، حيث يُبنى نظام الهيمنة/ التبعية حول تعزيز الأنماط. تشير الهيمنة إلى كل من القوة/ الامتياز اللذين يُمارسان من خلال السيطرة القهرية في العلاقات الشخصية وإلى السلطة السياسية المحدثة عندما يستخدم الرجال كمجموعة تكتيكاتهم المستبدة كي يعزوا عدم المساواة الجنسية الدائمة في المجتمع الأكبر.⁸

في 2015، وبعد ثماني سنوات على نشر عمله عن السيطرة القهرية عُيّن ستارك خبيرًا مرشدًا لحكومة المملكة المتحدة عندما قررت أن تعدّ السيطرة القهرية اعتداءً جرميًا. شكل هذا تحولًا جوهريًا في سياسة المملكة المتحدة. في 2010 احتفلت المنظمات الرائدة بإعلان استراتيجية إنهاء العنف في المملكة المتحدة ضد النساء والفتيات، وأدارت حملة من أجل حقوق النساء والضحايا والناجيات من التعسف المنزلي، تهدف إلى جمع أشكال العنف القائم على أساس الجنس كلها في استراتيجية واحدة؛ وهو الشيء الذي كن يطالبن به منذ ثلاثين سنة. من الجدير بالذكر، هو أن هذه الاستراتيجية تشير بالكاد إلى السيطرة القهرية. لقد تغير هذا الوضع في السنوات السابقة مع تغيرات الحكومة. وعندما تغير التركيز ليصبح أكثر توجهًا نحو العدالة الجنائية، كان هناك تحرك من هذا القطاع كي يدعم إقرار الأذى الخاص بالسيطرة القهرية كشكل من العنف ضمن استمرار العنف في الفضاء المنزلي. إنه يقر بالأذى الذي يسببه الإكراه أو السيطرة، وبأن

⁷http://www.stopvaw.org/uploads/evan_stark_article_final_100812.pdf p6

⁸المرجع نفسه ص7

الأثر التراكمي في الضحية والنموذج المتكرر من التعسف يمكن أن يكون أكثر ضررًا وأذية من حادث عنف فردي⁹. إنه سياق مهم لفهم هذا البحث، فعلى الرغم من أن الحكومة قد اعترفت بالعنف المنزلي وكل أشكال العنف ضد النساء والفتيات منذ سنوات عدة، فإن جرمية اعتداء السيطرة القهرية جديد نسبيًا وإلى حد ما خلافي. إذ يواجه الادعاء العام والشرطة صعوبة في الاقتناع بهذا الشكل من العنف حتى عندما يقدم دليلًا ماديًا فإن السؤال هل يمكن ضمان الاقتناع بشيء هو أكثر صعوبة من أن يبرهن عليه. مع ذلك، فإن ما يفعله الاعتداء ساعد في إلقاء الضوء على حقيقة أن التعسف ليس هجومًا بدنيًا فقط، وأثر هذه الأشكال الأخرى من العنف هو جزء من الصورة الكلية للتعسف. إذا فهمنا هذا، فإننا نستطيع أن نقدم الدعم الملائم. هذه حالة مشابهة للوضع الدولي حيث من الصعب الحصول على عدالة في مستوى الدولة لأعمال العنف الجسدي فضلًا عن النفسي. مع ذلك يمكن ويجب القيام بذلك.

في ديسمبر/ كانون الأول 2015، دخلت الجريمة الجديدة حيز التنفيذ في المملكة المتحدة. تقدم الإرشادات القانونية المرافقة عبر حكومة المملكة المتحدة التعريف الذي يبنى عليه الجرم كالاتي: السلوك المسيطر هو: مجموعة من التصرفات المقصودة لجعل الأشخاص خاضعين/ أو تابعين من خلال عزلهم عن أسباب الدعم، وحرمانهم من الوسائل التي يحتاجون إليها من أجل الاستقلال والمقاومة والهرب، وضبط سلوكهم اليومي، واستغلال مصادرههم وقدراتهم لتحقيق مكاسب شخصية. السلوك القهري هو: فعل مستمر أو نموذج من أفعال الهجوم والتهديد والإذلال والتخويف أو أي تعسف منزلي آخر يستخدم لمعاقبة الضحايا أو تخويفهم¹⁰.

إذا أخذ التعريف كما هو، من دون شرح مرافق حول كونه في سياق عنف الشريك الحميم أو ما نفهمه كوضع محلي، يبدو أن هذا التعريف يمكن أن يصف معاناة هؤلاء الذين يعيشون في ظل الشبيحة أو الشرطة السرية في سورية، كما وصفتها يزبك في بداية هذا البحث (اكتشاف المزيد أدناه). يحدد الإرشاد التشريعي أيضًا مجموعة من السلوكيات التي يمكن أن يتوقع المرء أن يراها ظاهرة في حالة السيطرة القهرية.

⁹https://www.gov.uk/government/uploads/system/uploads/attachment_data/file/482528/Controlling_or_coercive_behaviour_-_statutory_guidance.pdf p3

¹⁰المرجع نفسه، ص 8.

أنواع السلوك

أنواع السلوك المترافقة مع الإكراه أو السيطرة من الممكن أو غير الممكن أن تشكل اعتداءً جرمياً بحد ذاتها. من المهم أن نتذكر أن وجود السلوك المسيطر أو القهري لا يعني أنه لم يجر ارتكاب اعتداء آخر أو لا يمكن أن يحصل. مع ذلك يمكن لمرتكب الجرم أن يحد من مدى السلوك ويعرض دور وصاية وتأهيل للضحية. يمكن أن تشمل هذه السلوكيات:

عزل الشخص عن أصدقائه وعائلته.

حرمانهم من احتياجاتهم الأساسية.

مراقبة وقتهم.

مراقبة الشخص عبر وسائل الاتصالات المباشرة أو بوساطة برنامج تجسس.

السيطرة على مظاهر حياتهم اليومية، مثل أين يمكنهم الذهاب، من يمكنهم أن يروا، وماذا يلبسون ومتى يمكنهم النوم.

حرمانهم من الوصول إلى خدمات داعمة، مثل دعم متخصص أو خدمات طبية.

الحط المتكرر من قدرهم كإخبارهم أنهم عديمو الفائدة.

تأكيد القواعد والأعمال التي تذل الضحية أو وتحط من قدرها.

إجبار الضحية على القيام بجزء من الأعمال الجنائية مثل سرقة المتاجر، إهمال أو التعسف ضد الأطفال لتشجيع اللوم الذاتي والحوؤول دون كشف الأمر للسلطات.

إساءة المعاملة المالية التي تشمل السيطرة على التمويل، مثل السماح للشخص بمخصص عقابي.

التهديد بالأذية أو القتل.

التهديدات لطفل.

التهديد بكشف معلومات خاصة أو نشرها (مثلاً التهديد بطرد شخص ما).

الاعتداء.

التحطيم الإجرامي (مثل تدمير أغراض منزلية).

الاعتصاب.

منع الشخص من السفر أو العمل.

ليست هذه قائمة كاملة

الشكل 11.

الشكل 11. أنواع السلوك كما تظهر في السيطرة أو السلوك القهري في العلاقة الحميمة أو الإطار الإرشادي التشريعي للعلاقة العائلية، (2015)، ص 4
https://www.gov.uk/government/uploads/system/uploads/attachment_data/file/482528/Controlling_or_coercive_behaviour_-_statutory_guidance.pdf

السيطرة القهرية وجرائم الاستيلاء

يوجد بالفعل رابط بينهما، إن إحدى الحالات المركزية لمفهوم السيطرة القهرية هو ارتباطها الواضح مع أسر آخر أو جرائم الحرية حيث يعاني الشخص حرمان حريته/ها، مثل الأشخاص المحتجزين كرهائن، وسجناء الحرب وضحايا التعذيب. يناقش ستارك أن السيطرة القهرية تتشابه مع العنف المستخدم في جرائم الأسر بثلاث طرائق رئيسية: مصممة للمعاقبة والأذية والسيطرة على الضحية؛ آثارها تراكمية أكثر من الحوادث الخاصة؛ وكثيراً ما ينتج منها أذى شديد أو موت¹². من وجهة نظر ضحية السيطرة القهرية، تصف ليندا غوردن أسرها كما لو أنها امرأة معنفة تمنعها تربيتها الاجتماعية من النجاة¹³. أو أن وكالهم عن الضحية هو الهدف الأساسي¹⁴. الفكرة الكاملة للسيطرة القهرية هي في خلق بيئة مشابهة لتلك التي يعانيها أسرى الحرب، لكن بدلاً من التكيف العام مع السلطة كما هو متوقع من الرهينة، أو السجناء أو أولئك المحتجزين تحت قانون الصحة العقلية، فإنها (السيطرة القهرية) تقرر مسبقاً أن تفرض الإذعان بالقوة على الشخص، حيث يمارس شخص ما سلطة تجبر الآخر على أن يطيع ما يراد منه أن يفعله¹⁵.

ترسم المنظمة الدولية لمناهضة التعذيب تماثلاً بين بيئة ضحية التعذيب من موظف الدولة، مع الضحية المنزلية للسيطرة القهرية. يجري التعذيب من موظف الدولة عموماً عندما تكون الضحية في الزنزانة، تحت رحمة مستجوبها أو أسرها ومن دون مدخل إلى العالم الخارجي. النساء المعتنقات، يعشن بسبب الوضع المنزلي معزولات عن عائلاتهن وأصدقائهن والآخرين الذين يمكن أن يدعموهن¹⁶. لذلك فضحايا السيطرة القهرية فعلياً هن حبيسات البيت ما يدل على أن إساءة المعاملة هي جريمة سياسية مثل الإرهاب¹⁷. يأخذ ستارك بالحسبان المصطلحات المستخدمة من علماء الاجتماع في عمله عند محاولة تصنيف هذا النوع من العنف. وهي عبارة عن مزيج مثير من الكلمات التي تجمع بين المنزلي وما يمكن أن نعدّه عبارات عالمية مميزة، خصوصاً في الاستخدامات الراهنة للعبارة. يصف ستارك كيف انتقلنا من المحيط المنزلي في تأكيد الاعتداء المتكرر إلى فهم التعسف بوصفها عملية مستمرة تشمل عناصر بنيوية لها آثار تراكمية. ويعطي مثلاً عن هذا العمل في التحول المقدم من عالم الاجتماع ميشيل جونسون الذي في إدراكه هذه الصلة يعيد تسمية تصنيفاته للعنف بـ العنف الظرفي والإرهاب الحميمي¹⁸.

لا يشير هذا إلى تحول في الفهم البنيوي فقط، لكنه أيضاً مثال على الكيفية التي يمكن أن تنجز بها المرونة التعريفية؛ والرابط الواضح لما نراه في الصراعات الحديثة مثل سورية حيث يوجد عدد من الفاعلين الذين يمتدون من الدولة، إلى القادة العسكريين الأفراد، إلى مقاتلي المعارضة وفاعلين آخرين مثل داعش (الذين حددناهم بشكل طبيعي كإرهابيين). هذا التمييز بين العنف الظرفي أعني العنف الذي يستخدم في

¹² إي. ستارك، السيطرة القهرية: كيف يوقع الرجال النساء في حبائلهم، ص205.

¹³ ل. غوردن، أبطال في حياتهم الخاصة: سياسات وتاريخ العنف العائلي: بوسطن، 1960-1880، (الولايات المتحدة الأميركية: فايكنغ/بنغوين، 1988).

¹⁴ إي. ستارك، السيطرة القهرية: كيف يوقع الرجال النساء في حبائلهم، ص205.

¹⁵ المرجع نفسه، ص207

¹⁶ إم. بينينجر- بول و أ. ل. لاکروز، العنف ضد النساء: تقرير، (جنيف: المنظمة العالمية لمناهضة التعذيب، 1999)، ص43.

¹⁷ إي. ستارك، السيطرة القهرية: كيف يوقع الرجال النساء في حبائلهم، ص204.

¹⁸ م. جونسون، الإرهاب الذكوري والعنف الزوجي الشائع: شكلان للعنف ضد النساء، (جريدة الزواج والعائلة 57، 1995)، ص 283-294.

الصراع، وبين الإرهاب الحميمي مفيد لأنه يعطي مجالاً لإمكانية مناقشة تكتيكات الإكراه والسيطرة المستخدمة غير المغطاة في القتال على سبيل المثال.

لقد كان لي امتياز تمضية بعض الوقت مع ستارك في زيارته الأخيرة إلى المملكة المتحدة وأتيحت لي فرصة سؤاله مباشرة عما يقصده من مفهوم التوسيع التعريفي ليشمل سلوك الفاعلين في الصراع، وبخاصة في ما يتعلق بتهديد العنف الجنسي. كانت إجابته متحفظة، لكنه عرض بطريقة مشابهة، للتحوّل الذي نوه إليه ميشيل جونسون، وأن ذلك الذي كنت أصفه ربما كان إرهاباً جنسياً مع ذلك وحيث أظن بوجود اختلاف، فقد كان في تأثيره في الضحايا وفي استراتيجيات التكيف التي يستخدمونها. فمن وجهة نظره، فإن اللاجئين أكثر مرونة، وهمهم الأساسي ليس في ما إذا كانوا أنفسهم سيتعرضون للاعتداء لكن إلى حد ما في المحافظة على أطفالهم آمنين من العنف الظرفي وإيجاد طريقة لصنع حياة جديدة من أجلهم.

لم يكن استنتاجه خاطئاً؛ لكن ستارك يقر أنه لم يقابل لاجئين أو طالبي لجوء؛ سأفترض أن هذا الافتراض مبني على ما رواه الآخرون له. في مقابلاتي لعدد من الناس في هذا الوضع، لاحظت أن ما يقولونه للرسميين أن أمان أطفالهم وتعليمهم هما الجانب الأكثر أهمية لهم؛ لكنهم غالباً ما يخفون أثر معاناتهم في صحتهم أو متطلباتهم الخاصة. وغالباً ما يحدث هذا في نهاية المطاف، عندما يُضمن الأمان والتعليم، ويذول الأثر الأكبر لمعاناتهم. وحتى بعدها، بسبب عوامل الخوف، أو بسبب تطبعهم مع معاناتهم، فهم غير قادرين على التعبير عما حدث لهم. على سبيل المثال، الخوف المتأصل وعدم الثقة بالسلطة، هما حاجزان لمناقشة أي شيء من الممكن أن يبدو نقداً لمعاناتهم السياسية بسبب الخوف من المخبرين. درجة أن اللاجئين يفضلون مترجمين ناطقين باللغة العربية على المترجمين السوريين. أيضاً، من الممكن فقط بعد أن يعيشوا خارج المنطقة الجغرافية ويختبروا أنظمة ثقافية أو اجتماعية مختلفة أن يدرك اللاجئين من سورية أن السلوك الذي عدّوه مسلماً به هو غير طبيعي. قد يظهر تأثير هذا الإدراك في الصحة العقلية أو المشكلات السلوكية التي تحمل ندبة في المجتمعات كلها؛ التحديات لطلب هذه المساعدة موجودة منذ ذلك الحين وربما سنربط بين السبب والأثر في سنوات لاحقة.

سألت السؤال نفسه حول إمكان توسيع التعريف بخصوص السيطرة القهرية لجيل هيغ، من جامعة بريستول، التي أسست مجموعة بحث العنف ضد النساء. رأت مجالاً للنظر في التوسع التعريفي، لكنها جادلت بحذر، عارضة أنه يجب علينا النظر إلى هذا كخطوات طفل. فالوقت الذي استغرق لفهم السيطرة القهرية، وما الذي تعنيه في عدد محدود جداً من مدارس التفكير الغربية سيغني أن تحدي توسيع المفهوم ستكون خطوة متسارعة إلى حد بعيد. شعرت جيل أنه يوجد كثير من العمل لتحسين فهم العنف ضد النساء وأنه ليس الوقت الملائم لتقديم شيء للمداولات، على الرغم من أن اهتمامها كان من وجهة نظرها بوصفها ناشطة أكثر مما هو أمر يجب النظر فيه أكاديمياً، الأمر الذي تدعّمه. أشارت نازاند بيجيخاني، الخبيرة في مجال العنف ضد النساء في كردستان العراق، إلى أنها ترى أن هذا النوع من العنف (النفسي والعقلي) موجود بالفعل في القانون الدولي، وهو مدرك بوصفه (جرماً) في المستوى الدولي. وهي غير متأكدة مما هو مطلوب أكثر.

كان هناك عمل ما في السنوات الأخيرة، يستكشف أثر العنف النفسي في الأطفال يخلق بالفعل ارتباطاً بين التجارب السلبية وأثرها في الأطفال. كان هناك تركيز في ويلز وسكوتلاند، أكثر في الصحة العامة من خلال "معاناة الطفولة السلبية (ACES). من خلال تجسيد قضية أثر التجربة السلبية من الصراع والعيش في منطقة الحرب وكل ما يعايشونه هناك كقضية صحة، يوجد مجال لاكتشاف الأثر النفسي لسلوكات السيطرة القهرية في الصراع جزءاً من الفهم الأوسع له. نشر مركز ويلز للصحة العامة مؤخراً منع العنف، تعزيز السلام، مجموعة الأدوات السياسية للتعامل مع العنف بين الأشخاص والجمعي والمتطرف. يتحدث التقرير عن أثر الأشكال البارزة للعنف لكنه أيضاً يقدم مفهوم العنف بوصفه دورة حياة: الآثار الحادة للعنف (أعني الآثار المباشرة للإيذاء) تشمل الأذى البدني الخطر والعجز والموت. حيث تسبب العنف الجمعي بين الأفراد عالمياً بموت 580000 وأكثر من 33 مليون سنة من الحياة الصحية الضائعة في 2015. من منظور دورة الحياة، فإن العنف وتجارب الطفولة السلبية الأخرى (ACES) يمكن أن يفسدا التطور العاطفي والاجتماعي، ويحدا من فرص حياة الأشخاص ويؤديا إلى الموت المبكر.¹⁹ من الواضح أن هناك اهتماماً وهدفاً لتضمين السيطرة القهرية في الصراع بوصفها شكلاً من العنف، وكذلك تجربة الأطفال السلبية، التي يمكن أن تندرج إلى حد أبعد في فضاء الصحة العامة. يدعم هذا تقرير منظمة حماية الطفولة الجرح الخفي في 2017 حيث يظهر أثر معاناة الحرب جلياً كإجهاد سام. تشمل هذه التجارب الخوف اليومي من الموت في الصراع، وأثر معايشة ومعاناة مجموعة من الأمور كفقد التعليم والشعور بالأسى أيضاً، هذه هي الحياة الوحيدة التي عاشها عدد من الأطفال في عمر الست سنوات. سأعود الآن إلى السؤال الذي طرح من الدكتورة بيجيخاني؛ ما الذي يوجد في القانون الدولي والتشريعات والمعاهدات الدولية التي تدعم تأكيد أن السيطرة القهرية أو على الأقل تقرر بعناصر منها على أنها بالفعل اعتداءات؟

ما الذي يحدده القانون الدولي؟

لدى محاولة فهم المدى الذي تندرج فيه الأفكار المتضمنة في السيطرة القهرية في القانون الدولي، إنه من المفيد أن نبدأ باتفاقية جنيف، خصوصاً المعاهدة الرابعة (1949) التي تتضمن:

أ- العنف على الحياة والأشخاص، لا سيما القتل بأنواعه كلها، والتشويه، المعاملة الوحشية والتعذيب.

ب- احتجاز الرهائن.

ج- انتهاك الكرامة الشخصية، لا سيما المعاملة المهينة والمذلة.

على الرغم من أن المؤتمر يشير إلى التعذيب والمعاملة المذلة، إلا أنه ليس جلياً أن ذلك يتضمن السيطرة القهرية. ففي عدد من الحالات لا يرى الضحايا أنفسهم هكذا، حتى يفوت الأوان وتسبب لهم أشكالاً أخرى

¹⁹منع العنف، وتعزيز السلام- مجموعة أدوات سياسية لمواجهة العنف المتطرف والجمعي وبين الأشخاص، الصحة العامة في ويلز، 2017.

من العنف المادي والأذى الجسدي أو حتى الموت. إذا لم يقر سلوك ما حتى الآن بسبب الأذى الذي يسببه، عندها من غير المحتمل أن يلحظ في مثل التعريف العريض. على سبيل المثال، في التشريع الوطني يشكل الفهم بأن هذا السلوك غير مقبول أساسًا كي يكون جريمة صريحة. من دون ذلك، من غير الواضح في ما إذا كان سيؤخذ بالحسبان وما هي العتبة التي يجب الوصول إليها.

من أجل التطورات الأخيرة الإضافية، نظرت بالتفصيل في البروتوكول الدولي في توثيق وتحقيق العنف الجنسي في الصراع التي أعلنتها القمة العالمية في 2014 لإنهاء العنف الجنسي في الصراع. يتضمن البروتوكول نفسه إشارة إلى المضاعفات النفسية للعنف الجنسي على الناجيات والشاهدات، وإشارة إلى طبيعته المرتبطة بنوع جندي وتفشيه ضد الأطفال. بالتماثل مع البرهان الذي يقدمه ستارك عن الطبيعة البنيوية للسيطرة القهرية، يوضح البروتوكول أن التفاوتات البنيوية والتاريخية الموجودة بين الرجال والنساء، والأشكال المختلفة للتمييز القائم على الجنس الذي تخضع له النساء في أنحاء العالم كلها، يساهم في تأثر النساء والفتيات بشكل غير متجانس بالعنف الجنسي في محيط الصراع²⁰. ويقر البروتوكول بصورة مفيدة أن العنف الجنسي بوصفه جريمة في القانون الدولي يرتكب غالبًا كجزء من حزمة عريضة من الانتهاكات ضد الأشخاص والمجتمعات التي تشمل جرائم جنسية وغير جنسية²¹. لذا لدينا هنا إقرار إضافة إلى ما نعرف أنه جريمة بموجب القانون الدولي، يوجد لدينا مجموعة أوسع من السلوكيات التي تعكس على الأقل جزئيًا تعريف السيطرة القهرية كنمط مستمر. ما نحتاج إلى أن نستكشفه أكثر، مع ذلك، ما تشمله هذه القائمة من الانتهاكات، وكيف يمكن مقارنتها باللغة المستخدمة في أوصاف السيطرة القهرية وأنواع السلوك.

البروتوكول حذر عند مناقشة ما يمكن أن يكون بالفعل في التشريعات والحالات في أوضاع معينة، يشكل العنف الجنسي جريمة بموجب القانون الدولي؛ وجريمة حرب، وجريمة ضد الإنسانية و/ أو عمل من أعمال الإبادة الجماعية يمكن أن يحقق فيه ويقاضى في المستويين الوطني والدولي. لذلك نحتاج إلى النظر في تفسير القانون الدولي وكيفية تنفيذه لمعرفة مكان حدوث هذه المتغيرات، وفي أي من هذه الجرائم يمكن أن يشمل النموذج الأوسع. أولاً هناك قرينة المحكمة الجنائية الدولية ليوغسلافيا السابقة (ICTY) والمحكمة الجنائية الدولية لرواندا (ICTR) ومحاكم خاصة. نسقت القوانين وقدمت طبقاً لتشريع روما للمحكمة الجنائية الدولية (ICC)، وقدمت ثانية من المحكمة الخاصة بسيراليون (SCSL).

يوضح البروتوكول أنه على الرغم من تركيزه على الفقرات الشرطية المنصوص عليها في قانون روما، فإن عددًا من هذه الفقرات لم يقاضَ بها بعد أو ترسخ. يشير ذلك إلى أن فلسفة التشريع للمحاكم الخاصة والمحاكم المستحدثة، مثل الدوائر الاستثنائية لمحكمة كمبوديا وسيراليون يمكن أن تزودنا بالإرشادات المتاحة آخر الأمر²². مع ذلك، ما يهمننا هنا هو في ما إذا كان يوجد أي شيء في القانون الدولي يعكس مفهوم السيطرة القهرية، لذا يبدو قانون روما مكانًا ملائمًا للبداية. إذا أخذنا بالحسبان ما الذي يتضمنه عنوان

²⁰https://www.gov.uk/government/uploads/system/uploads/attachment_data/file/319054/PSVI_protocol_web.pdf

²¹المرجع نفسه.

²²المرجع نفسه.

جرائم حرب (المادة 8 الفقرة الثانية)، والجرائم ضد الإنسانية (المادة 7) والإبادة الجماعية (المادة 6) يوجد بعض العناصر التي من الممكن أن تكون مفيدة. تحت المادة 8 الفقرة الثانية (ب - ج)، يوجد إشارة نوعية لانتهاك حرمة الاحتشام على الكرامة الشخصية، لا سيما المعاملة المذلة والمهينة في المادة 8 الفقرة الثانية (ج-ه) ويوجد أيضًا عنف على الحياة والأشخاص لا سيما القتل بأشكاله كلها، والتشويه والمعاملة الوحشية والتعذيب والتجويد المتعمد والحرمان من أشياء لا غنى عنها للبقاء. أما الجرائم ضد الإنسانية (المادة 7) فتدرج أربعة مجالات من الاهتمامات الخاصة: السجن أو أشكال الحرمان القاسية من الحرية الجسدية في انتهاك لقواعد أساسية في القانون الدولي، والتعذيب، والاختفاء القسري للأشخاص والتصرفات الأخرى غير الإنسانية المشابهة التي تتعمد إحداث معاناة كبيرة، أو ضرر خطر للجسد أو للصحة الجسدية أو العقلية²³.

التفحص الشامل لتفاصيل قانون روما وتفسيراته هو خارج مجال هذه الدراسة. إلا أن تفحص التفسيرات المرشدة مطلوب، كي نحدد أين يمكن أن يكون ملائمًا استخدام هذه التشريعات لتشمل العنف النفسي. يتضح أنه يوجد إشارة في مستوى عالٍ إلى أنواع من السلوكيات المرادفة لبعض تلك المحددة في التشريع الوطني. ما هو مهم بشأن قانون روما أنه يحمي الأشخاص الذين يعملون ضمن الدولة، وليس الدولة نفسها. ويمكن تطبيق الجرائم ضد الإنسانية في غياب الصراع الأساسي. لكن أظهر العمل الأولي للمحكمة الجنائية الدولية، المؤسسة استنادًا إلى قانون روما أنه من الأسهل المقاضاة بموجب بعض التصنيفات من بعضها الآخر، على سبيل المثال من حيث الأدلة التي قد تكون متاحة وفي ما إذا كانت السلوكيات المرتكبة خلف أبواب مغلقة أو أن مجموعة كبيرة شهدت جهازًا الوحشية المصنفة إبادة جماعية. في حالة الحوادث الأكثر عمومية ما يزال الأمر صعبًا، لكنه ربما أقل صعوبة من محاكمتهم على أفعال حدثت خارج الفضاء العام. موضوع الدليل مفيد؛ يواجه المرء تطبيق القانون في التشريع المحلي بخصوص السيطرة القهرية. لكن يوجد أمثلة على ضحايا هذا النوع من التعسف كانوا قادرين على تزويد الدليل، وهي الحالة الأكثر شهرة من حالات ستارك التي تحتفظ بمفكرة للأعمال اليومية، حيث كانت دليلاً قاطعًا على الهيمنة والسيطرة التي كانت تخضع لها الضحية. لكن لندع صعوبة إثبات الجريمة جانبًا للحظة واحدة، فمن المفيد أن نعود إلى الحجة التي وضعتها المنظمة الدولية لمناهضة التعذيب. لأنه في محاولتنا لإيجاد شيء ما ملائم في القانون الدولي، من المهم أن نعدّ ما يقدمه لنا قانون روما في مجالات التعذيب، حتى إذا حاولنا أن نقاضي هذا النوع من الجرائم فمن الممكن أن تكون الطريق أكثر صعوبة.

اتفاقية الأمم المتحدة لمناهضة التعذيب والمعاملة القاسية المهينة وغير الإنسانية أو العقاب (1984)

تعرف التعذيب:

يعني مصطلح "التعذيب" طبقًا لغايات هذه الاتفاقية، أي عمل يؤدي إلى الألم أو المعاناة الشديدين، سواء كان جسديًا أم عقليًا، يطبق عمدًا على الشخص بقصد الحصول منه أو من شخص ثالث على معلومات أو اعترافات، ومعاقبته على سلوك ارتكبه هو أو الشخص الثالث أو اشتبه بارتكابه، أو ترويعه

²³<https://www.icc-cpi.int/NR/rdonlyres/ADD16852-AEE9-4757-ABE7-9CDC7CF02886/283503/RomeStatutEng1.pdf>

أو إكراهه هو أو الشخص الثالث، أو لأي سبب مؤسس على تمييز من أي نوع، عندما يُبتلى بمثل هذا الألم أو المعاناة من موظف حكومي أو أي شخص آخر يعمل بتلك الصفة أو منه أو بموافقة أو قبول. إنه لا يشمل ذلك الألم أو المعاناة المتأصلة أو الطارئة التي تنشأ عن جزاء قانوني²⁴.

ما هو مثير في هذا التعريف هو أنه يحدد بوضوح أن مرتكبي التعذيب إما أن يكونوا موظفين حكوميين أو من يدير نشاطهم بموافقة أو قبول من الموظفين الحكوميين أو أحد ما يمثل تلك الصفة. لا يغطي ذلك بالضرورة سلسلة الفاعلين في الصراع الذين يمكن أن يكونوا مجرمي سلوك، إذ يمكن أن ينطبق عليهم التعريف الدولي للسيطرة القهرية. على سبيل المثال، في الصراع السوري يمكن أن يغطي العاملين في الدولة والشرطة السرية والتكتيكات التي يستعملونها؛ ولا تشمل هؤلاء المصنفين ثوارًا أو الفاعلين مثل داعش، أو الجماعات أو العصابات التي ليس لها شارة تعريفية. بالعودة ثانية إلى قانون روما، تعريف التعذيب في المادة السابعة الفقرة 2(هاء) تقول:

يقصد "بالتعذيب" الأذى المتعمد في الألم أو المعاناة الشديدين، سواء كان جسديًا أم عقليًا، لشخص في السجن أو تحت سيطرة المدعى عليه؛ لا يشمل ذلك التعذيب الألم أو المعاناة المتأصلة أو الطارئة التي تنشأ عن جزاء قانوني²⁵.

يبدو أن هذا سيزودنا بتعريف أكثر شمولًا يمكن أن يكون مفيدًا لإجراء مقارنة على السلوكات المثبتة في التشريع الوطني. مع ذلك، لكي تكون قادرًا على أن تأخذ أي عمل تحت المادة 7 أو حيث يندرج التعذيب بوصفه جريمة حرب في الإبادة الجماعية. يجب أن يكون المرتكب مواطنًا في دولة مشاركة في قانون روما، وأن تحدث الجريمة المزعومة على أراضي الدولة المشاركة، أو أن تكون هناك حالة أحيلت على المحكمة من مجلس الأمن الدولي. لا يبدو مرجحًا أن هذا سيحدث بأي شكل من الأشكال في حالة سورية.

يقر القانون الدولي في مستوى عالٍ في هذه اللحظة، بأثر التعذيب النفسي ومع أن هذا مفيد، إلا أن ما لا يقره هو الأثر التراكمي للسيطرة أو السلوك القهري أو أن يشرح بوضوح لأولئك الذين يفرضونه بالقوة، أن هذه السلوكات تشكل جرمًا. اختبار القانون الحالي أساسي لفهم ما نحتاج إليه، وما يزال من الأسهل القيام بذلك من خلال أعمال العنف الجسدي المشاهدة علانية.

السيطرة القهرية في الصراع السوري

يقدم الصراع في سورية مثالًا حديثًا جدًا للتطبيق الدولي لمفهوم السيطرة القهرية. يصف ستارك السيطرة القهرية بأنها واسعة النطاق ومتغلغلة تعطي شعورًا بـ كلية الحضور²⁶. ويشير أيضًا إلى حقنة عالية المستوى من الخوف في الدورة الاعتيادية للحياة اليومية²⁷ وأثار نفسية مدمرة من العزلة؛ والعجز عن أن تعرف ما تعرفه أو ما يدعوه المنظور²⁸، إذ إن منظور التمييز بين الصواب والخطأ قد صُودر. هذا

²⁴<http://www.ohchr.org/EN/ProfessionalInterest/Pages/CAT.aspx>

²⁵<https://www.icc-cpi.int/NR/rdonlyres/ADD16852-AEE9-4757-ABE7-9CDC7CF02886/283503/RomeStatutEng1.pdf>

²⁶ إيفان. ستارك (2007) السيطرة القهرية: كيف يوقع الرجال النساء في حبائلهم (نيويورك: مطبعة جامعة أكسفورد)، ص 209.

²⁷ المرجع نفسه ص 211.

²⁸ المرجع نفسه ص 267.

كله يمكن التعرف إليه في التجارب الموثقة لسوريين بعد حصول الربيع العربي في 2011، وانتقال البلد إلى الحرب. على الرغم من أن تلك العناصر موجودة قبل ذلك.

درست هنا ثلاثة أمثلة من الأدب مرتبطة بسورية توضح هذه الجوانب. المثال الأول هو عمل نهاد سيريس الذي يصف في كتابه شبه الخيالي الصمت والصخب الإحساس بـ"رؤية الجميع" للحكومة كلية الحضور، التي تجبر جميع المواطنين على حمل ما يثبت هويتهم وتقييم نقاط تفتيش وتكره الناس (الموصوفة بالجماهير) على أن تشارك في مسيرات كي يحتفلوا بقائدهم. يصف بالتفصيل إحساسه بالخوف وعزلته هو الصحافي. معاناته على أيدي الشرطة السرية، الذين يصفهم بشبيحة الأمن العسكري، والوقت الذي يقضيه في مراوغتهم، يدل على القوة التي يمارسونها. تُجسد السلطة في هذه الحالة عبر التهديد بالعنف الجسدي إذا لم يستجب لمطالبهم بالعمل في آلة الدعاية. لم يعانِ أي عنف جسدي حتى وقت لاحق في الرواية، إلا أنه كان واضحاً له أن العنف الجسدي سيكون نتيجة لاعتقاله. يصف أعمال الشرطة السرية تجاه رجل مسؤول عن نسخ ملصقات القائد، أصبح فاسداً وعذب ستة أشهر نتيجة لذلك. وأخيراً زواج أمه بالإكراه من وزير بارز، ليجبره على قبول طلبه في العمل في شعبة تبادل المعلومات بدلاً من متابعة عمله بوصفه صحافياً²⁹. لكن ما هو أكثر إثارة من هذا كله هو وصف الكاتب للمجتمع الذي يعيش فيه، الذي يحاكي لغة ستارك في وصف المرتكب المنزلي في السيطرة القهرية:

يجب على الناس ألا يفكروا في الزعيم وكيف يدير البلد؛ يجب عليهم ببساطة أن يعبدوه، وأن يطلبوا في تمجيدهم له الموت في سبيله، لذا يخلق القائد هديرًا حوله مجبرًا الناس أن يحتفلوا به، أن تصرخ تجبر الناس على النزول إلى الشوارع للمهتاف. يحاول القائد أن يغطي نفسه بهالة من الهدير، بقصد طمس أي صوت آخر وقمعه. يهدف بهذا الصراخ، إلى طمس جرائم صارخة أطلق لها العنان ضد منافسيه في زنانات تحت الأرض في أجهزة الأمن، أقيمت هذه الأماكن بعيدة عن الأنظار لكن الجميع يعرف عنها³⁰.

يوجد مثالان آخران في عمل اثنتين من الصحافيات في سورية، تقيم الاثنتان في فرنسا الآن: جانين دي جيوفاني وسمر يزيك. على الرغم من المخاطر المصاحبة للعمل الصحافي في منطقة الصراع بأي حال، فقد وصفتا الحياة في سورية بأنها مبنية على الخوف والهيمنة والسيطرة. تصف جانين دي جيوفاني أمثلة من الضغط النفسي، حيث يوجد خوف من تعرض أحد أفراد العائلة للاغتصاب. يتزامن هذا مع إقرار البيان المقدم للجنة العالمية في 2014 بشأن العنف الجنسي الذي دعا إلى الاعتراف بمثل هذه التصرفات بوصفها تعذيباً نفسياً معلناً، يجب أن نقر أيضاً أن الرجال والأولاد هم ضحايا هذه الجريمة، مثلهم مثل أولئك الذين أجبروا على مشاهدة هذا العنف أو ارتكابه ضد عائلاتهم أو أفراد مجتمعهم³¹، في برقيات من سورية: الصباح الذي جاؤوا فيه إلينا، تقدم دي جيوفاني تسجيلاً صوتياً لنساء سوريات على وجه الخصوص. تصف إحداهن التكتيكات الخاصة بالشبيحة، أو الشرطة السرية التي تمثل النظام.

²⁹ن. سيريس، الصمت والصخب، (لندن: مطبعة بوشكين، 2013).
³⁰المرجع نفسه، ص163-164.

³¹https://www.gov.uk/government/uploads/system/uploads/attachment_data/file/274724/A_DECLARATION_OF_COMMITMENT_TO_EN_D_SEXUAL_VIOLENCE_IN_CONFLICT.pdf

تهدف تكتيكاتهم بشكل كبير إلى بث الخوف ضمن التجمعات؛ حيث يدخلون البلدات والقرى بعد أن تكون القوات الحكومية قد قاتلت في الجوار، وينشرون الإشاعات بأنهم يريدون اغتصاب النساء والفتيات والأمهات وبنات الأعمام والأخوال. إنها طريقة ملائمة للتطهير الإثني للمنطقة بالكامل. حيث يمكن خلق الخوف بسهولة³².

في امرأة في تقاطع نيران: يوميات من الانتفاضة السورية، تصف سمر يزبك، مرة ثانية بعبارات مشابهة لوصف ستارك في كيفية خلق المرتكب لجرعة الخوف ضمن الحياة اليومية، وكيف يصبح ذلك طبيعياً. تصف كيف أن "...دون التحقق من ذلك يعيش الناس في الخوف، الذي يصبح ألياً مثل التنفس³³،" وتصف حضور القوات الأمنية الكلي التي توصف كما لو أنها "انبثقت من الأرض" وكيف "انبثقت الأرض وانفتحت (لهم)³⁴. يتحدث أيضاً ستارك عن الإشراف والمراقبة بصفتهما مفتاحاً أساسياً لاستمرار العنف ويشبهه بالتكتيكات المستخدمة لترهيب سجناء الحرب والرهائن، لكن في عمل يزبك يمكننا أن نرى مقارنة مشابهة لحالتها بصفتها صحافية تسيطر عليها الشرطة السرية. بالطريقة نفسها، الهدف هو ضمان الحضور الكلي والسلوكيات الإكراهية؛ كما يصفها ستارك، حيث تعرف الضحية أنها مراقبة ومسموعة، ما يسبب عزلتها وانعزالها. تعاني يزبك دوائر العنف والاحتجاز والتخويف، والتهديدات الجسدية والجنسية، والتهديدات ضد ابنتها. تتحول عندها إلى المهدئات لتتحمل المعاناة.

استنتاجات

كان هدفي أن أبين الحاجة إلى فهم أفضل لأثر السيطرة القهرية في الفضاء الدولي، ليس فقط بوصفه سلاح حرب، لكن أيضاً كوسيلة لحكم أمة، أو لتحريض العنف أو السلوكيات التي يرغبون فيها لتعزيز أهداف أولئك الذين في السلطة، أو ممارستها على الآخرين. إذا فهمنا الرابط بين تصرفات العنف المرافقة للفضاء المنزلي، وكيف أن السلوكيات نفسها تشكل جزءاً من عنف مستمر في الصراع أكثر مما هي عنف ظريفي كما يصفه جونسون.

غالباً ما يتحدث الكتاب السوريون عن بنية المجتمع السوري، وكيف دمرت؛ لا أظن أن اقتراح ستارك "الإرهاب الجنسي" كوصف لهذا هو المصطلح الملائم؛ لكن استخدام كلمة الإرهاب تصف أثر هذا العنف. إنه حميمي، يوجد علاقة بين المرتكب والضحية مختلفة عن مرتكب أعمال العنف العشوائية. يوجد أيضاً استمرار، وأرغب في أن أناقش الآلية التي تحافظ على نسيج المجتمع كاملاً عندما يتطلب الأمر، لكن أيضاً عندما تصل نقطة التحول، فإنها تستثير الفعل وردة الفعل الذي دمر المجتمع. في عنف الشريك الحميمي، يمكن للعلاقة أن تستمر سنوات، حتى يحدث شيء ما؛ للأسف، يؤدي في عدد من الحالات إلى العنف

ج. دي جيوفاني، برقيات من سورية: 'عندما جاؤوا إلينا في الصباح'، (لندن: بلومسبري، 2016)، ص 20.
س. يزبك، امرأة في تقاطع النيران- يوميات من الانتفاضة السورية، (لندن: هاوس للطباعة، 2011)، ص 2.
المرجع نفسه، ص 3-8.

الشديد والموت. بعد النظر إلى هاتين الحالتين، فإن الاختلاف بينهما أقل أهمية لي في هذه المرحلة من الوقت الذي بدأت فيه.

مع ذلك في مناقشة مفهوم الإرهاب الجنسي، عرضت أن فليتكرافت رؤية أخرى سوف أختتم هذا البحث بها. تحدثت عن نساء يعشن بخوف دائم في الصراع؛ لقد نهتني إلى السبب وراء تشكيل حركة استردي الليل في المملكة المتحدة. زارت ليز كيللي ليدز في الوقت نفسه الذي كان قاتل يوركشير يرتكب جرائمه ضد النساء في المدينة. تصف كيف أحست بجو الخوف بين النساء، إذ قلصت 83 في المئة من النساء حركتهن³⁵. زاد هذا من إدراكها لمدى قوة الخوف من الهجوم وأثره الهائل في الحرية³⁶. كانت مسيرات استرداد الليل استجابة لفقد الحرية، وغضبًا على الاستجابة التي تبدو بطيئة من الشرطة، والمعاملة التفضيلية للطالبات الضحايا على العاهرات. كانت النتيجة سلسلة من المسيرات المتساوية الأهمية عبر المملكة المتحدة في معارضة لنصيحة الشرطة للنساء حول الوقت الذي يجب فيه البقاء في البيوت وعدم الخروج ليلاً من دون صحبة الرجل. نزلت النساء إلى الشوارع بأعداد كبيرة حاملات مشاعل متوهجة. نرى هذا التحدي عندما تكون النساء قادرات على ترك علاقاتهن المتعسفة، أو حتى عندما يُجبرن على قتل المتعسف. رأينا ذلك في مسيرات التحدي والاحتجاج ضد النظام في سورية في آذار/ مارس 2011 وتأسيس حركات مثل نساء سوريات في دعم الثورة. الزمن هو الذي سيخبرنا إذا كانت النساء السوريات قادرات على استرداد حياتهن، وليس الليل فقط، وفي ما إذا كان الأذى الخاص للسيطرة القهرية سيضمن أن النساء يستطعن استرداد حياتهن في الفضاء الوطني. إذا كن قادرات على ذلك، عندها تكون مبادئ الحرية والكرامة والإحساس بالهوية هي حجر الزاوية لمجتمع سورية بعد الصراع التي يجب أن تكون في مكانها الملائم في المستقبل.

المراجع

- بينينجر. بادل، سي و لاكرويز، أ- ل (1999) العنف ضد النساء: تقرير جنيف: المنظمة العالمية لمناهضة التعذيب
- كوك، م (2017) الرقص في الإبداع الدمشقي، والمرونة والثورة السورية أوكسون: روتليدج.
- دي جيوفاني، ج، برقيات من سورية: عندما جاؤوا إلينا في الصباح، (لندن: بلومسبوري، 2016).
- غوردن، ل. أبطال في حياتهم الخاصة: سياسات وتاريخ العنف العائلي: بوسطن، 1960-1880، (الولايات المتحدة الأمريكية، فايكنغ/ بنغوين، 1988).
- جونسون، م، الإرهاب الذكوري والعنف الزوجي الشائع: شكلان للعنف ضد النساء، (مجلة الزواج والعائلة 57، 1995).
- كيللي، ل، النجاة من العنف الجنسي، (أوكسفورد: مطبعة حكومية، 1998).

³⁵ ل. كيللي، النجاة من العنف الجنسي، (أوكسفورد: مطبعة حكومية، 1998)، ص 16.

³⁶ المرجع السابق.

الصحة العامة في ويلز، منع العنف، تعزيز السلام- مجموعة أدوات سياسية لمواجهة العنف المتطرف والجمعي وبين الأشخاص، 2017.

سيريس، ن، الصمت والصخب، (لندن: مطبعة بوشكين، 2013).

ستارك، إي، السيطرة القهرية: كيف يوقع الرجال النساء في حبالهم، (نيويورك: مطبعة جامعة أوكسفورد، 2007).

يزبك، س، امرأة في تقاطع النيران: يوميات من الانتفاضة السورية، (هاوس للنشر، 2011).



harmoon.org